وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

معانى الكلمات :

بطشا : قوة .

نقبوا : تنقلوا .

محيص : مفر ومهرب .

لغوب : تعب وإحياء .

الصيحة : النفخة الثانية .

الذاريات : الرياح تفرق الغبار .

الحاملات : سحب تحمل الأمطار .

الجاريات : السفن .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعلم أخذ العبرة والعظات من التاريخ .

٢ ـ أن نعلم قدرة الله وعظمته فى بديع مخلوقاته .

٣ ـ أن نعلم أن ما وعد الله الناس لابد أن يقع من رزق أو بعث أو جزاء .

المحتوى التربوى :

يذكر السياق إهلاك الله لقرون كثيرة قد خلت ، ويضيف إليها حركة القرون وهى تتقلب فى البلاد ، وتنقب عن أسباب الحياة ، وهى مأخوذة فى القبضة التى لا يفلت منها أحد ، ولا مفر منها ولافكاك ، وعقب عليها بما يزيدها جدة وحيوية ، فيقول أنها هلاك القرون ذكرى ، وفى مصارع الغابرين ذكرى لمن كان له قلب ، ويكفى للذكرى والاعتبار أن يكون هناك سمع يلقى إلى القصة بإنصات ووعى ، فتفعل القصة فعلها فى النفوس ، وإنه للحق ، فالنفس البشرية شديدة الحساسية بمصارع الغابرين شديدة التأثر بها .

والله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، وما كان هناك من تعب ونصب فما مسه تعالى لغوب، والسياق يوحى بيسر الخلق والإنشاء فى هذا الخلق الهائل .

يقول ابن كثير رحمه الله : « فيه تقرير المعاد ؛ لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن قادر على أن يحيى الموتى بطريق الأولى والأحرى ، وقالت اليهود عليهم لعائن الله خَلق الله السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة ، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه».

وعقب السياق بخطاب الرسول ﷺ بالصبر على ما يقوله المكذبون وأن يهجرهم هجراً جميلا، وأن يسبح بحمد ربه قبل طلوع الشمس وقبل الغروب،ويسبح فى الليل وبعد الصلاة .

يقول صاحب الظلال : « وطلوع الشمس وغروبها ومشهد الليل الذى يعقب الغروب ، كلها ظواهر مرتبطة بالسموات والأرض ، وهو يربط إليها التسبيح والحمد والسجود ، ويتحدث فى ظلالها عن الصبر على ما يقولون من إنكار للبعث والتسبيح والسجود موصولا كل ذلك بصفحة الكون وظواهر الوجود ، تثور فى الحس كلما نظر إلى السموات والأرض ، وكلما رأى مطلع الشمس أو مقدم الليل ، وكلما سجد لله فى شروق أو غروب .

ثم لمسة جديدة ترتبط كذلك بالصفحة الكونية المعروضة .. اصبر وسبح واسجد ، وأنت فى حالة انتظار وتوقع للأمر الهائل الجلل ، المتوقع فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار لا يغفل عنه إلا الغافلون » .

ويذكر السياق من أهوال القيامة يوم ينادى مناديها من كل مكان قريب ، بحيث يصل نداؤه إلى الكل على سواء ، وإنه لمشهد جديد مثير لذلك اليوم العسير ، وعبر هنا عن النفخة بالصيحة ، وصور مشهد الخروج ، ومشهد تشقق الأرض عنهم وذلك أن الله تعالى ينزل مطراً من السماء تنبت به أجساد الخلائق فى قبورها ، كما ينبت الحب فى الثرى بالماء ، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فينفخ فى الصور وقد أودعت الأرواح فى ثقب فى الصور ، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض فيقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى الجسد الذى كانت تعمره ، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم فى اللديغ وتنشق الأرض عنهم ، فيقومون إلى موقف الحساب سراعا ، مبادرين إلى أمر الله عز وجل ، هذه الخلائق التى غبرت فى تاريخ الحياة كلها إلى نهاية الرحلة ، تشقق القبور التى لا تحصى ، والتى تعاقب فيها الموتى كما يقول المعرى :

رب قبر قد صار قبراً مزاراً ضاحك من تزاحم الأضـــداد
ودفين على بقـايـا دفيـن فـى طـويـل الآجـال والآمـاد

كلها تشقق ، وتتكشف عن أجساد ورفات وعظام وذرات تائهة أو حائلة فى مسارب الأرض ، لا يعرف مقرها إلا الله ، وإنه لمشهد عجيب لا يأتى عليه الخيال .

وفى ظلال هذا المشهد الثائر المثير يقرر الحقيقة التى فيها يجادلون وبها يجحدون ، فالله سبحانه يحيى ويميت وإليه المرجع ، والحشر يسير فى أنسب وقت للتقرير ، وفى ظلال هذا المشهد كذلك

يتوجه بالتثبيت للرسول ﷺ تجاه جدلهم وتكذيبهم فى هذه الحقيقة الواضحة المشهودة بعين الضمير ، فالله محيط عليم بما يقول لك المشركون ، وهذا حسبك فللعلم عواقبه عليهم ، وهو تهديد مخيف ملفوف ، وما أنت عليهم بصاحب سلطان فترغمه على الإيمان والتصديق ، فالأمر فى هذا ليس إليك ، إنما هو لنا فمن ، ونحن عليهم رقباء وبهم موكلون .

وذكر بالقرآن ، والقرآن يهز القلوب ويزلزلها فلا يثبت له قلب يعى ويخاف ما يواجهه به من حقائق ترجف لها القلوب ، على ذلك النمو العجيب ، وحين تعرض مثل هذه السورة ، فإنها لا تحتاج إلى جبار يلوى الأعناق على الإيمان ، ففيها من القوة والسلطان ما لا يملكه الجبارون ، وفيها من الإيقاعات على القلب البشرى ما هو أشد من سياط الجبارين .

سورة الذاريات

هذه السورة ذات جو خاص ، فهى تبدأ بذكر قوى أربعة من أمر الله فى لفظ مبهم الدلالة ، يوقع فى الحس لأول وهلة أنه أمام أمور ذات سر ، يقسم الله سبحانه بالرياح التى تذرو ما تذروه من غبار وحبوب لقاح وسحب وغيرها مما يعلم الإنسان وما يجهل ، وبالسحاب الحاملات وقراً من الماء يسوقها الله به إلى حيث يشاء ، وبالسفن الجاريات فى يسر على سطح الماء بقدرته،وبما أودع الماء وأودع السفن وأودع الكون كله من خصائص تسمح بهذا الجريان اليسير، ثم بالملائكة المقسمات أمراً .

تحمل أوامر الله وتوزعها وفق مشيئته ، فتفصل فى الشؤون المختصة بها ، وتتسم الأمور فى الكون بحسبها

يقسم الله ـ سبحانه ـ بهذه الخلائق الأربع على أن ما وعد الله به الناس لوعد صادق ، وقد وعد الله الناس : أنه مجازيهم بالإحسان إحسانا ، ومجازيهم بالسوء سوءاً ، وأنه إذا أمهلهم الحساب فى الأرض ، فليس بمهمل حسابهم فى الآخرة فالحساب لابد منه هناك فى الصورة التى يريدها ، وفى الوقت الذى يريده ، وما يحتاج الأمر إلى قسم منه سبحانه ، إنما يقسم بخلائقه تلك لتوجيه القلب إليها ، وتدبر ما وراءها من إبداع وقدرة وتدبير يوحى للقلب بأن وعد الله لابد صادق ، وأنه حساب على الخير والشر واقع .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ مهمة المسلم هى مهمة رسوله ﷺ هى التبليغ والإنذار والنصح وليست إجبار الناس على الهداية .

٢ ـ ليس هناك شىء صعب على الله تعالى لا فى إنشائه وخلقه ، ولا فى إحيائه بعد موته .

٣ ـ الله ـ تبارك وتعالى ـ يقسم بما شاء من مخلوقاته تعظيما لها وبيانا لأهميتها ، أما نحن العباد فلا يجوز لنا أن نحلف إلا بالله أو بصفة من صفاته .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ
أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾
٥٢١

معانى الكلمات :

الحبك : الطرق التى تسير فيها الكواكب .

مختلف : متناقص .

يؤفك : يصرف .

الخراصون : الكذابون .

غمرة : جهالة غامرة بأمور الآخرة .

فراغ : ذهب فى خفية .

صرة : صيحة وضجة .

فصكت : لطمت .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حال المكذبين وصفة المتقين .

٢ ـ أن نتعلم طريق الإيمان بقدرة الله ووحدانيته عن طريق النظرة فى الأرض وفى أنفسنا .

٣ ـ أن نتعرف على كرم إبراهيم عليه السلام وسخاؤه لضيفه ، وكيفية الضيافة .

المحتوى التربوى :

يجىء القسم الثانى فيقسم بالسماء المنسقة المحكمة التركيب ذات البهاء والجمال والحسن والاستواء وقد تكون هيئات السحب مجعدة تجعد الماء والرمل إذا ضربته الريح ، يقسم الله بالسماء المنسقة المحبوكة على أنهم فى قول مختلف ، مضطرب لا قوام له ولا قرار ، ولا ثبات له ولا استقرار ، يصرف عنه من صرف ويبقى عليه من بقى ، فلا استقرار عليه ولا توافق ولا ثبات بل الحيرة دائمة والقلق لا يزال ، ويتضح اضطرابهم واختلافهم وما هم فيه من الأمر المريج ، حين يعرض فى ظل السماء ذات الحبك المنسقة التركيب .

فهم فى قول مختلف فى هذا الحق المبين،ثم يصور لهم ذلك اليوم فى مشهد حى تتملاه العيون ، فدعوة الله عليهم بالقتل قضاء بالقتل ، ويزيد أمرهم وضوحا فهم مغمورون بالأضاليل والأوهام لا يفيقون ، ولا يستيقظون والتعبير يلقى ظلاً خاصاً يصور القوم مغمورين ساهين لا

يشعرون بشىء مما حولهم ولا يتبينون كأنهم سكارى مذهولون ، ذلك أنهم لا يتبينون الأمر الواضح الذى يراه ويوقن به كل كل داع غير مذهول ، فهم يسألون عن يوم الدين سؤال استنكار وتكذيب واستبعاد لمجيئه ، ومن ثم يعاجلهم بمشهدهم فى هذا اليوم الذى يستبعدونه ويستنكرونه وهم يحرقون بالنار كحرق المعدن لتمييز جقيقته ، يوم يكونون على النار يعذبون ويحرقون ، ومعه التبكيت المؤلم فى الموقف العصيب فهذا الذى كنتم به فى تكذيب .

وينتقل السياق إلى فريق آخر مستيقن لا يخرص ، نقى لا يتبجح ، مستيقظ يعبد ويستغفر ، ولا يقضى العمر فى غمرة وذهول ، فهذا الفريق ، فريق المتقين الأيقاظ ، هؤلاء فى يوم ميعادهم يكونون فى جنات وعيون ، يتنعمون بما آتاهم ربهم من فضله وإنعامه ، جزاء ما أسلفوا فى الحياة الدنيا من عبادة لله كأنهم يرونه ، ويقين منهم بأنه يراهم ، فقد كانوا محسنين ويصور إحسانهم صورة خاشعة ؛ فهم الأيقاظ فى جنح الليل والناس نيام ، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام لا يطعمون الكرى إلا قليلا ، ولا يهجعون فى ليلهم إلا يسيراً ، يأنسون بربهم فى جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع ، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام . وهذه حالهم مع ربهم ، فأما حالهم مع الناس وحالهم مع المال فهو مما يليق بالمحسنين ، فهم يجعلون نصيب السائل الذى يسأل فيعطى ، ونصيب المحروم الذى يسكت ويستحيى فيحرم ، يجعلون نصيب هذا وهذا حقا مفروضا فى أموالهم ، وهم متطوعون بفرض هذا الحق غير المحدود .

ويلفت السياق إلى آيات الله فى الأرض وفى الأنفس ، وتوجيه إلى السماء فى شأن الرزق المكتوب والحظ المقدور ، ولو مضى الإنسان بل لو مضى الأناسى جميعا ـ يتأملون هكذا ويشيرون هكذا ويشيرون مجرد إشارة إلى ما فى الأرض من عجائب ، وإلى ما تشير إليه هذه العجائب من آيات ، ما انتهى لهم قول ولا إشارة ، والنص القرآنى ما يزيد على أن يوقظ القلب البشرى للتأمل والتدبر ، غير أنه لا يدرك هذه العجائب إلا القلب العامر باليقين ؛ فلمسة اليقين هى التى تحيى القلب فيرى ويدرك .

ثم العجيبة الأخرى التى تدب على هذه الأرض ، وهذا هو المخلوق الإنسانى هو العجيبة الكبرى فى هذه الأرض ، ولكنه يغفل عن قيمته ، وعن أسراره الكامنة فى كيانه حين يغفل قلبه عن الإيمان وحين يحرم نعمة اليقين ، إنه عجيبة فى تكوينه الجسمانى فى أسرار هذا الجسد ، عجيبة فى تكوينه الروحى .

فى أسرار هذه النفس ، وهو عجيبة فى ظاهره وعجيبة فى باطنه ، وهو يمثل عناصر هذا الكون وأسراره وخفاياه ، وكل جزئية فى حياة هذا المخلوق تقفنا أمام خارقة من الخوارق لا ينقضى منها العجب .

ويجىء التوجيه إلى السماء حيث الرزق المقسوم والحظ المرسوم ، فمع أن أسباب الرزق الظاهرة قائمة فى الأرض ، حيث يكد فيها الإنسان ويجهد ، وينتظر من ورائها الرزق والنصيب ، فإن القرآن يرد بصر الإنسان ونفسه إلى السماء إلى الغيب إلى الله ؛ ليتطلع هناك إلى الرزق المقسوم

والحظ المرسوم ، أما الأرض وما فيها من أسباب الرزق الظاهرة فهى آيات للموقنين ، آيات ترد القلب إلى الله ليتطلع إلى الرزق من فضله .

يقول صاحب الظلال : « والقلب المؤمن يدرك هذه اللفتة على حقيقتها ، ويفهمها على وضعها ويعرف أن المقصود بها ليس هو إهمال الأرض وأسبابها ، فهو مكلف بالخلافة فيها وتعميرها ، إنما المقصود هو ألا يعلق نفسه بها ، وألا يغفل عن الله فى عمارتها ؛ ليعمل فى الأرض وهو يتطلع إلى السما ، وليأخذ بالأسباب ويعيش موصولا قلبه بالسماء ، وقدماه ثابتتان ؛ على الأرض ، فهكذا يريد الله لهذا الإنسان » .

وبعد هذه اللمسات الثلاث فى الأرض والنفس والسماء ، يقسم الله سبحانه بذاته العلية على صدق هذا الحديث كله وبأن ما وعدهم به من من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة ، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكون فى نطقكم حين تنطقون، والله أصدق القائلين.

وينتقل السياق عن إبراهيم بالسؤال عن العلم بقصة ضيف إبراهيم ، تنويها بهذا الحديث ، وتهيئة للأذهان ، مع وصف ضيف إبراهيم بالمكرمين ؛ إما لأنهم كذلك عند الله ، وإما إشارة إلى إكرام إبراهيم لهم كما ورد فى القصة ، ويبدو كرم إبراهيم وسخاؤه وإرخاصه للمال واضحا ، فما يكاد ضيفه يدخلون ويقولون : سلاما ، ويرد عليهم السلام وهو ينكرهم ولا يعرفهم ، ما يكاد يتلقى السلام ويرده حتى يذهب إلى زوجه مسارعا ليهيئ لهم الطعام ، ويجيء به طعاما وفيراً يكفى عشرات ـ وهم كانوا ثلاثة فيما يقال تكفيهم كتف من هذا العجل السمين ـ وقربه إليهم ، وجاء سؤال الإنكار بعد أن رأى أيديهم لا تصل إليه ألا تأكلون ؟ !

وخافهم إبراهيم ؛ إما لأن الطارئ الذى لا يأكل طعام مضيفه ينبئ عن نية شر وخيانة لأنه لمح أن فيهم شيئًا غريبًا عندئذ كشفوا له عن حقيقتهم أو طمأنوه وبشروه بعدم الخوف ، وكانت منهم ، وإما البشرى له بإسحاق من زوجة العقيم ، وأقبلت أمرأته فى صرخة ورنة ، وعلى عادة النساء ضربت خديها بكفيها من ولادتها وهى عجوز وقد كانت من الأصل عقيم ، عندئذ ردها المرسلون إلى الحقيقة الأولى حقيقة القدرة التى لا يقيدها شئ،والتى تدبر كل أمر بحكمة وعلم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً .

١ ـ ضمن الله لعباده أرزاقهم ، وقدرها بحكمته .

٢ ـ من صفات المؤمنين المحسنين ، أنهم يسهرون الليل فى عبادة ربهم ولا ينامون إلا قليلا ، و أنهم يطلبون المغفرة من ربهم ، وأنهم يعطون ، من أموالهم للسائل للمحروم المتعفف عن السؤال المحتاج إلى المال .

٣ ـ الحث على إكرام الضيف ولو لم نعرفه .

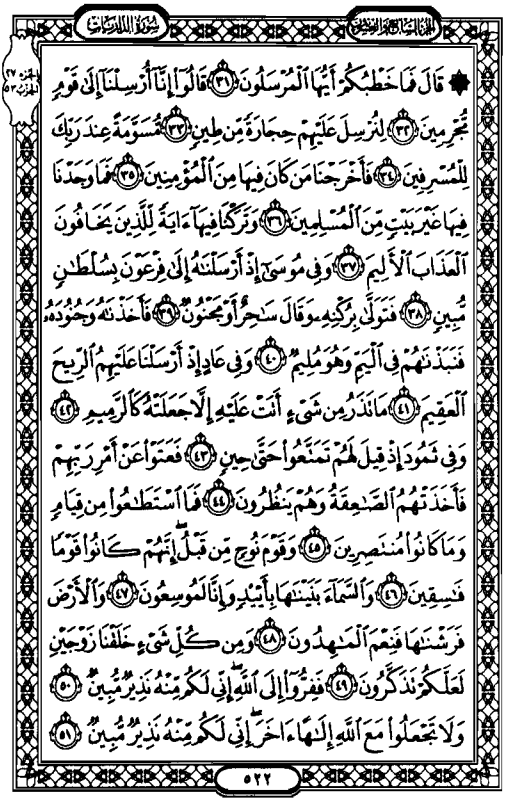

معانى الكلمات :

خطبكم : شأنكم الخطير .

مسومة : معلمة بعلامة تميزها .

للمسرفين : للذين تجاوزوا الحد فى الفجور .

سلطان : دليل .

بركنه : بقوته وسلطانه .

مليم : آت بما يلام عليه من الكفر .

كالرميم : كالشىء البالى المفتت .

الماهدون : المصلحون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم علة مصارع الغابرين وهلاكهم .

٢ ـ أن نستشعر قدرة الله تعالى من خلال آياته فى كونه .

٣ ـ أن نعلم ضرورة الخضوع لله والفرار إليه وتوحيده .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى قصة إبراهيم مع ضيفه وقد عرف حقيقتهم عن شأنهم الذى أرسلوا فيه ، فعرفوه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط فقد كانوا قوما مجرمين ليعذبوهم بحجارة معدة ومهيئة عند الله للمسرفين وقوم لوط كانوا مسرفين فى تجاوزهم للفطرة والحق والدين ، وقد أخرجوا من تلك القرية من كان فيها من المسلمين لإنجائهم وحمايتهم ، فما وجدوا غير بيت النبى لوط عليه السلام ، فكانوا هم الناجين إلا امرأته كانت من الهالكين ، وتركوا فى تلك القرية آية ودليلا على عذاب أهلها ، والذين يخافون وحدهم هم الذين يرون الآية ويدركونها وينتفعون بها ، أما الآخرون فمطموسون لا يرون آيات الله لا فى الأرض ولا فى أنفسهم ولا فى أحداث التاريخ .

وآية أخرى فى قصة موسى فقد أرسله الله إلى فرعون بسلطان مبين ، وهو الحجة القوية ، والبرهان القاطع ، وهو الهيبة الجليلة التى خلقها عليه وهو معهما يسمع ويرى ، ولكن فرعون تولى بركنه ، وازور بجانبه عن الحق الواضح والبرهان القاطع ، وقال عن موسى النبى الذى كشف له آيات الله الخوارق ساحر أو مجنون ، مما يقطع بأن الآيات والخوارق لا تهدى قلبا لم يتأهب للهدى ، ولا تقطع لسانا يصير على الباطل ويفترى ، ولا يطيل السياق هنا فى عرض تفصيلات للقصة ، فيمضى إلى نهايتها التى تتجلى فيها الآية الباقية المذكورة فى التاريخ ، فقد أغرقه الله وجنوده فى البحر وهو آت بما يلازم عليه من الكفر والعناد .

وآية أخرى فى عاد قوم هود إذا أرسل الله عليهم الريح العقيم فلم تكن تحمل ماء ولا حياة كما توقعوا ، إنما تحمل الموت والدمار ، وتترك كل شىء تأتى عليهم الريح العقيم فلم تكن تحمل ماء ولا حياة كما توقعوا ، إنما تحمل الموت والدمار ، وتترك كل شىء تأتى عليه كالميت الذى رم وتحول إلى فتات ، والريح قوة من قوى هذا الكون ، وجند من جند الله وما يعلم جنود ربك إلا هو .

وآية ثالثة فى ثمود قوم صالح ؛ إذ قيل لهم بأن يتمتعوا حتى حين ، وقد تعنى إمهالهم ثلاثة ، أيام بعد قتل الناقة ، وقد تعنى ما قدر لهم من المتاع منذ الرسالة إلى أن قتلوا الناقة ، وعتوا عن أمر ربهم ، فحق عليهم الهلاك ، وما يقال فى الحجارة التى أرسلت على قوم لوط ، وفى الريح التى أرسلت على عاد ، يقال فى الصاعقة التى أرسلت على ثمود ، فكلها قوى كونية مدبرة بأمر الله ، مسخرة بمشيئته وبنواميسه ، يسلطها على من يشاء فتؤدى دورها الذى يكلفها الله كأى جند من جند الله .

وآية رابعة فى قوم نوح ، وهى إشارة سريعة تلمس القصة لمسة واحدة بدون إيضاح كأنما ليقال : واذكر قوم نوح فقد أهلكناهم من قبل هؤلاء وكان مثل هؤلاء مخالفين أمر الله خارجين عن طاعته .

وينبه السياق على خلق العالم العلوى والسفلى ، فقد جعل الله السماء سقفا محفوظا ، ووسع أرجاءها ورفعها بغير عمد حتى استقلت كما هى ، والأيد : القوة ، والقوة أوضح ما ينبئ تعنى بناء السماء الهائل المتماسك المتناسق ، بأى مدلول من مدلولات كلمة السماء سواء كانت تعنى مدارات النجوم والكواكب ، أم تعنى مجموعة من المجموعات النجمية التى يطلق عليها اسم المجرة وتحوى مئات الملايين من النجوم أم تعنى طبقة من طبقات الفضاء الذى تتناثر فيه النجوم والكواكب ، أم غير هذا من مدلولات كلمة السماء .

والسعة كذلك ظاهرة ؛ فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة والتى تعد بالملايين ، لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة فى هذا الفضاء الرحيب ، ولعل فى الإشارة إلى السعة إيحاء آخر إلى مخازن

الأرزاق التى قال من قبل : إنها فى السماء ، ولو أن السماء هنا مجرد رمز إلى ما عند الله ، ولكن التعبير القرآنى يلقى ظلالًا معينة ، يبدو أنها مقصودة فى التعبير كما أن هذا النص تجعلنا نرجِّح أن البحوث العلمية الحديثة سائرة فى طريق الوصول إلى الحقيقة ، وهى تكاد لخطاب البشرية خطابا موحيا .

ومثلها الإشارة الأخرى إلى الأرض المحمودة المفروشة ، فقد أعد الله هذه الأرض لتكون مهداً للحياة ، والفرش يوحى باليسر والراحة والعناية ، وقد هئيت الأرض لتكون محضنًا ميسّرا ممهدًا، كل شىء فيه مقدر بدقة لتيسير الحياة وكفالتها .

ويكشف السياق عن قاعدة الزوجية فى الخلق ، وهى ظاهرة فى الأحياء ، ولكن كلمة شىء تشمل غير الأحياء أيضا ، والتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية .

يقول صاحب الظلال : « وحين نتذكر أن هذا النص عرفه البشر منذ أربعة عشر قرنا ، وأن فكرة عموم الزوجية ـ حتى فى الأحياء ـ لم تكن معروفة حينذاك فضلا عن عموم الزوجية فى كل شىء ، حين نتذكر هذا نجدنا أمام أمر عجيب عظيم ، وهو يطلعنا على الحقائق الكونية فى هذه الصورة العجيبة المبكرة كل التبكير .

تقرر أن بناء الكون كله يرجع إلى الذرة ، وأن الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء : موجب وسالب فقد تكون تلك البحوث إذن على طريق الحقيقة فى ضوء هذا النص العجيب » .

وفى ظل هذه اللمسات القصيرة العبارة الهائلة المدى : فى أجوار السماء ، وفى آماد الأرض وفى أعماق الخلائق تهتف بالبشر ليقروا إلى خالق السماء والأرض والخلائق ، متجردين من كل ما يثقل أرواحهم ويقيدها ، موحدين الله الذى خلق هذا الكون وحده بلا شريك .

يقول صاحب الظلال : « والتعبير بلفظ الفوار عجيب حقا ، وهو يوحى بالأثقال والقيود والأغلال والأرهاق التى تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض ، وتثقلها عن الانطلاق ، وتحاصرها وتأسرها وتدعها فى عقال ، وبخاصة أوهاق الرزق والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة للنصيب الموعود ، ومن ثم يجىء الهتاف قويا للانطلاق والتملص والفرار إلى الله من هذه الأمثال والقيود ، الفرار إلى الله وحده منزهًا عن كل شريك ، وتذكير الناس بانقطاع الحجة وسقوط العذر ، فقد جاءهم النذير المبين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ وعد الله تعالى ـ صادق لا يتخلف ، وعلى المؤمن أن يعتبر بما حدث للسابقين .

٢ ـ جريمة اللواط هى من أبشع الجرائم وأفحشها .

٣ ـ ضرورة الفرار إلى الله ـ تعالى ـ من كل ما يشغلنا عن طاعته وعبادته .

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾
أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ
﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ
﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ
ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢٣

معانى الكلمات :

طاغوت : متجاوزون للحد فى الكفر .

تولى : أعرض .

ذنوبا : نصيبا من العذاب .

رق : ما يكتب فيه من الجلد وغيره .

البيت المعمور : الذى تطوف به الملائكة فى السماء أو الكعبة .

السقف المرفوع : السماء .

المسجور : الموقد ناراً .

تمور : تضطرب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم الغاية من خلق الله للجن والإنس .

٢ ـ أن نعلم أن قيمة الأعمال فى النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها .

٣ ـ أن نستشعر الرهبة من مشاهد القيامة .

المحتوى التربوى :

يعقب السياق على قصص الرسل التى سلفت ؛ أن طبيعة المكذبين واحدة ، وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون فقد قالوا من قبل ساحر أو مجنون كما يقول هؤلاء المشركون ، كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون ، وما تواصوا بشىء إنما هى طبيعة الطغيان تجمع بين الغابرين واللاحقين ، وعلى الرسول ألا يحفل بتكذيب المشركين ،فهو غير ملوم على ضلالهم ، ولا مقصر فى هدايتهم إنما هو مذكر فعليه أن يذكر وأن يمضى فى التذكير مهما أعرض المعرضون وكذب المكذبون ، والذكرى تنفع المؤمنين وحدهم ، ولا تنفع غيرهم من الجاحدين ، والتذكير هو وظيفة الرسل .

وهنا يتضح معنى الفرار إلى الله لأداء الوظيفة التى خلق الله العباد لها ، ومنحهم وجودهم ليؤدوها ، وهذه الوظيفة المعينة التى تربط الجن والإنس بنا موسى الوجود هى العبادة لله أو هى العبودية لله ، أن يكون هنا عبد ورب ، عبد يَعبد ، ورب يُعبد ، وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار .

يقول صاحب **الظلال** : « وإن حقيقة العبادة تتمثل فى أمرين رئيسيين :

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله فى النفس، أى استقرار الشعور على أن هناك عبدًا وربا، عبداً يعبد، وربا يعبد، وأن ليس وراء ذلك شىء، وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار، ليس فى هذا الوجود إلا عابد ومعبود ، وإلا رب واحد والكل له عبيد .

الثانى : هو التوجه إلى الله بكل حركة فى الضمير ، وكل حركة فى الجوارح ، وكل حركة فى الحياة ، التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله .

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض وعمارة الأرض كالجهاد فى سبيل الله ، والجهاد فى سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضا بقدر الله ، كلها عبادة .

ومن مقتضيات استقرار معنى العبادة أن تصبح قيمة الأعمال فى النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها ، فلتكن النتائج ما تكون ، فالإنسان غير معلق بهذه النتائج ، إنما هو معلق بأداء العبادة فى القيام بهذه العمال ، ولأن جزاءه ليس فى نتائجها إنما جزاؤه فى العبادة التى أداها ، والقرآن يغذى هذا الإحساس ويقويه بإطلاق مشاعر الإنسان من الانشغال بهم الرزق ومن شح النفس ، فالرزق فى ذاته مكفول ، تكفل بالله تعالى لعباده ، وهو لا يطلب بطبيعة الحال أن يطعموه سبحانه أو يرزقوه حين يكلفهم إنفاق هذا المال لمحتاجيه ، والقيام بحق المحرومين فيه، فالله هو خالقهم ورازقهم .

وفى ضوء هذه الحقيقة الكبيرة ينذر الذين ظلموا فلم يؤمنوا ، واستعجلوا وعد الله وكذبوا، بأن لهم نصيبا من العذاب فلا يستعجلون ذلك ، فإنه واقع لا محالة .

سورة الطور

تبدأ السورة بقسم من الله سبحانه بمقدسات فى الأرض والسماء بعضها مكشوف معلوم ، وبعضها مغيب مجهول، وهذه الآيات القصيرة ، والفواصل المنغمة ، والإيقاعات الفاصلة ، تصاحب السورة من مطلعها ، وهى تبدأ كلمة واحدة ثم تصبح كلمتين ثم تطول شيئا فشيئا مع المحافظة الكاملة على قوة الإيقاع .